

العَرْنَدُسُ

العَرْنَدَسُ

(١) زَقْرُوقُ الْخَيَّاطِ

كَانَ — فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ — خَيَّاطٌ ذَكِيٌّ اسْمُهُ: زَقْرُوقٌ. وَكَانَ يَعِيشُ مَعَ زَوْجِهِ عَيْشَةً رَاضِيَةً (أَيُّ: حَيَاةً طَيِّبَةً سَعِيدَةً)، وَلَا يَدَّخِرُ وَسْعًا (أَيُّ: كَانَ يَعْمَلُ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ) فِي سَبِيلِ إِرْضَائِهَا، لِأَنَّهَا كَانَتْ لَا تَدَّخِرُ وَسْعًا فِي سَبِيلِ إِرْضَائِهِ. وَقَدْ عَاشَا مَعًا فِي صَفَاءٍ (أَيُّ: خُلُوقٍ مِّنَ الْهُمُومِ) وَابْتِهَاجٍ (أَيُّ: فَرَحٍ وَسُرُورٍ).

(٢) الْعَرْنَدَسُ

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ كَانَ زَقْرُوقُ الْخَيَّاطِ جَالِسًا فِي دُكَّانِهِ يَخِيضُ بَعْضَ الثِّيَابِ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ أَحَدَبُ أَيُّ: فِي ظَهْرِهِ جُزءٌ خَارِجٌ كَسَنَامِ الْجَمَلِ، وَاسْمُهُ: الْعَرْنَدَسُ. وَكَانَ ذَلِكَ الْأَحَدَبُ (أَيُّ: الرَّجُلُ الَّذِي ارْتَفَعَ عَظْمُ ظَهْرِهِ) مُبْتَهَجًا رَاضِيًا بِعَيْشَتِهِ عَلَى فَقْرِهِ. فَجَلَسَ قَرِيبًا مِّنْ دُكَّانِ زَقْرُوقِ الْخَيَّاطِ، وَظَلَّ يُغْنِي. فَابْتَهَجَ الْخَيَّاطُ بِغِنَائِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَصْحَبَهُ إِلَى بَيْتِهِ، لِيُدْخَلَ السُّرُورَ عَلَيْهِ وَعَلَى زَوْجِهِ الْعَزِيزَةِ.

(٣) فِي بَيْتِ الْخَيَّاطِ

فَفَرِحَ الْعَرْنَدَسُ بِذَلِكَ، وَاسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهِ مَسْرُورًا. وَلَمَّا جَاءَ الْمَسَاءُ أَغْلَقَ الْخَيَّاطُ دُكَّانَهُ، وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ مَعَ الْعَرْنَدَسِ. وَظَلَّ الْعَرْنَدَسُ يُطْرِبُهُمْ بِغِنَائِهِ حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الْعِشَاءِ، فَجَلَسَ زَقْرُوقٌ وَزَوْجُهُ وَالْعَرْنَدَسُ عَلَى الْمَائِدَةِ يَتَعَشَّوْنَ.



(٤) مَوْتُ الْعَرْنَدُسِ

وَكَانَ الْعَرْنَدُسُ يَفْصُ عَلَيْهِمَا — فِي أَثْنَاءِ الْأَكْلِ — قَصَصًا فُكَاهِيَّةً مُشَوِّقَةً (أَيُّ: يَشْتَاقُ إِلَيْهَا مَنْ يَسْمَعُهَا)، وَيَأْكُلُ فِي شَرِّهِ عَجِيبٌ؛ أَعْنِي: يُقْبَلُ عَلَى الطَّعَامِ وَيَلْتَهُمْ بِكَثْرَةٍ يَتَعَجَّبُ مِنْهَا مَنْ يَرَاهَا. وَكَانَ يَقْدِفُ بِالسَّمَكِ فِي جَوْفِهِ، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمَا. وَقَدْ أَنْسَاهُ الشَّرُّهُ (أَيُّ: الْحَرِصُ الشَّدِيدُ عَلَى الْأَكْلِ) وَاجِبَ الْحَذَرِ؛ فَوَقَفَتْ سَمَكَةٌ صَغِيرَةٌ فِي حَلْقِهِ فَخَنَقَتْهُ، وَمَاتَ مِنْ قَوْرِهِ.

(٥) فِي بَيْتِ الطَّبِيبِ

وَرَأَى الْحَيَّاطُ وَزَوْجُهُ مَا حَلَّ بِالْعَرْنَدُسِ، فَخَافَا سُوءَ الْعَاقِبَةِ. وَفَكَّرَا طَوِيلًا فِي وَسِيلَةٍ (أَيُّ: حِيلَةٍ) يَتَخَلَّصَانِ بِهَا مِنْ هَذَا الْمَازِقِ (أَيُّ: الْمَضِيقِ). ثُمَّ قَرَّرَ رَأْيُهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَا جُثَّتَهُ إِلَى طَبِيبٍ قَرِيبٍ مِنْ بَيْتِهِمَا. فَلَمَّا بَلَغَا بَيْتَ الطَّبِيبِ قَرَعَا بَابَهُ (أَيُّ: نَقَرَهُ كِلَاهُمَا)، فَانْزَلَتْ إِلَيْهِمَا خَادِمٌ عَجُوزٌ، وَسَأَلَتْهُمَا عَمَّا يُرِيدَانِهِ. فَقَالَ زَقْرُوقٌ: «اصْعِدِي إِلَى سَيِّدِكَ الطَّبِيبِ، وَخَبِّرِيهِ أَنَّ مَعَنَا مَرِيضًا مُشْرِفًا عَلَى الْمَوْتِ، لِيُسْعِفَهُ بِالْعِلَاجِ». فَصَعِدَتِ الْخَادِمُ إِلَى سَيِّدِهَا، وَأَيَّقَطَتْهُ مِنْ نَوْمِهِ، وَقَصَّتْ عَلَيْهِ مَا سَمِعَتْ.



(٦) حَيْرَةُ الطَّيِّبِ

وَلَمْ يَشَأْ زَقْرُوقٌ وَزَوْجُهُ أَنْ يُضِيعَا هَذِهِ الْفُرْصَةَ، فَحَمَلَا جُثَّةَ الْعَرْنُدُسِ، وَصَعِدَا السُّلَمَ، وَوَضَعَاهَا قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْغُرْفَةِ، وَعَادَا مُسْرِعَيْنِ إِلَى بَيْتِهِمَا. وَخَرَجَ الطَّيِّبُ مِنْ غُرْفَتِهِ مُسْرِعًا، ثُمَّ طَلَبَ مِنْ خَادِمِهِ أَنْ تُحْضَرَ الْمِصْبَاحَ، وَكَانَ الظَّلَامُ حَالِكًا (أَي: شَدِيدَ السَّوَادِ)، فَلَمْ يَرَ جُثَّةَ الْعَرْنُدُسِ. فَصَدَمَهَا صَدْمَةً عَنِيفَةً، فَهَوَّتْ إِلَى أَسْفَلِ السُّلَمِ. وَأَذْرَكَ الطَّيِّبُ خَطَأَهُ، فَنَادَى خَادِمَهُ أَنْ تُسْرِعَ فِي إِحْضَارِ الْمِصْبَاحِ. وَمَا كَادَ الطَّيِّبُ يَرَى أَمَامَهُ جُثَّةً هَامِدَةً لَا حَرَكَاتَ بِهَا (أَي: سَاكِئَةً لَا تَتَحَرَّكُ)، حَتَّى امْتَلَأَ قَلْبُهُ رُغْبًا وَهَلَعًا (أَي: خَوْفًا عَظِيمًا وَفَرَعًا)، وَأَيَقَنَ أَنْ تُسْرِعَهُ كَانَ سَبَبًا فِي هَلَاكِ ذَلِكَ الْمَرِيضِ.

وَحَارَ فِي أَمْرِهِ: مَاذَا يَصْنَعُ؟ وَكَيْفَ يَتَخَلَّصُ مِنْ هَذَا الْمَأْرِقِ الْحَرِجِ (أَي: الضَّيِّقِ)، حَتَّى لَا يُعْرَضَ نَفْسُهُ لِلْهَلَاكِ؟



(٧) فِي بَيْتِ التَّاجِرِ

جَزَعَ الطَّبِيبُ (أَي: اشْتَدَّ حُزْنُهُ) وَارْتَبَكَ (أَي: اضْطَرَبَ)، فَذَهَبَ إِلَى زَوْجِهِ، وَقَصَّ عَلَيْهَا مَا حَدَّثَ لَهُ. فَاضْطَرَبَتْ وَقَالَتْ لَهُ: «لَا بُدَّ مِنْ إِخْرَاجِ هَذِهِ الْجُنَّةِ الْمَشْهُومَةِ مِنْ بَيْتِنَا، وَإِلَّا اتُّهِمْنَا بِقَتْلِ صَاحِبِهَا، وَكَانَ الْمَوْتُ جَزَاءَنَا عَلَى هَذِهِ التُّهْمَةِ الشَّنْعَاءِ (أَي: الْقَبِيحَةِ)».

وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ طَوِيلٍ اهْتَدَتْ الزَّوْجُ الذَّكِيَّةُ إِلَى حِيلَةٍ بَارِعَةٍ (أَي: مُمْتَازَةٍ) لِلْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ الْحَرَجِ. فَتَعَاوَنْتْ هِيَ وَالطَّبِيبُ وَالْخَادِمُ عَلَى حَمْلِ جُنَّةِ الرَّجُلِ إِلَى سَطْحِ جَارِهِمُ التَّاجِرِ، حَيْثُ أَسْنَدُوا الْجُنَّةَ إِلَى الْحَائِطِ وَعَادُوا إِلَى بَيْتِهِمْ آمِنِينَ.

(٨) بَيْنَ التَّاجِرِ وَالْعَرْنَدُسِ

وَبَعْدَ قَلِيلٍ عَادَ التَّاجِرُ إِلَى بَيْتِهِ — وَكَانَ قَدْ دُعِيَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى حَفَلَةِ عُرْسٍ — فَلَمَحَ رَجُلًا وَاقْفًا عَلَى سَطْحِ مَنْزِلِهِ. فَاسْرَعَ إِلَيْهِ، وَأَهْوَى (أَي: نَزَلَ وَانْقَضَ) عَلَيْهِ بِعِصَاهُ الْغَلِيظَةِ. وَقَدْ حَسَبَهُ إِصًا جَاءَ لِيَسْرِقَ مِنْ مَخْزَنِهِ، فَقَالَ لَهُ غَاضِبًا، وَهُوَ يَضْرِبُهُ بِعِصَاهُ: «لَقَدْ كُنْتُ



أَحْسَبُ أَنَّ الْفَيْرَانَ وَبَنَاتِ عَرِسٍ هِيَ الَّتِي تَسْرُقُ مِنْ مَخْرَنِي، فَإِذَا بِكَ أَنْتَ الَّذِي يَتَسَلَّلُ
إِلَيْهِ فِي خُفْيَةٍ (أَي: يَحْضُرُ دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ) كُلَّ لَيْلَةٍ!«
مَا كَادَتْ الْجُنَّةُ تَهْوِي (أَي: تَسْقُطُ) عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى أَسْرَعَ إِلَيْهَا التَّاجِرُ، فَرَأَاهَا بِلا
حَرَكَ. فَامْتَلَأَ قَلْبُهُ دُعْرًا (أَي: حَوْفًا)، وَحَسِبَ أَنَّ عَصَاهُ هِيَ السَّبَبُ فِي قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ.
فَارْتَبَكَ وَأَيَقَنَ بِالْهَلَاكِ جَزَاءَ مَا صَنَعَ.

(٩) حِيلَةُ التَّاجِرِ

فَفَكَّرَ التَّاجِرُ فِي حِيلَةٍ يَتَخَلَّصُ بِهَا مِنْ هَذَا الْمَأْرَقِ، فَلَمْ يَجِدْ أَمَامَهُ إِلَّا أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ،
وَيَتَخَلَّصَ مِنْ جُنَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ. فَاسْرَعَ فِي تَنْفِيزِ خُطَّتِهِ (أَي: تَدْبِيرِهَا وَتَرْتِيبِهَا)،
وَحَمَلَهُ إِلَى دُكَّانٍ قَرِيبٍ مِنْ بَيْتِهِ. ثُمَّ أَسْنَدَهُ إِلَى حَائِطِ الدُّكَّانِ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ، وَهُوَ لَا يَكَادُ
يُصَدِّقُ بِنَجَاتِهِ.

(١٠) بَيْنَ الْمُؤَدِّنِ وَالْعَرْنَدِسِ

وَكَانَ هَذَا الدُّكَّانُ قَرِيبًا مِنْ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرِ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ خَرَجَ الْمُؤَدِّنُ مِنْ بَيْتِهِ — وَهُوَ عَلَى بُعْدِ خُطَوَاتٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ — لِيُؤَدِّنَ أَذَانَ الْفَجْرِ كَعَادَتِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ. وَكَانَ ضَعِيفَ الْبَصَرِ، فَلَمْ يَرَ الْعَرْنَدِسَ. وَدَاسَ قَدَمَهُ، فَأَزْتَمَى جِسْمَ الْعَرْنَدِسِ عَلَيْهِ. فَخَبِلَ إِلَيْهِ أَنْ لَصًّا يُرِيدُ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ، فَانْهَالَ عَلَيْهِ ضَرْبًا وَلَكْمًا، وَصَاحَ يَسْتَعِيثُ بِالنَّاسِ وَالشُّرْطَةِ (أَي: عَسَاكِرِ الطَّرِيقِ). فَاسْرَعَ إِلَيْهِ الشُّرْطِيُّ، وَأَمْسَكَ بِالْعَرْنَدِسِ، فَرَأَهُ جُنَّةً هَامِدَةً؛ فَقَبِضَ عَلَى الْمُؤَدِّنِ، وَسَاقَهُ إِلَى الْمَخْفِرِ (أَي: دَارِ الشُّرْطَةِ وَمَرْكَزِ عَسَاكِرِ الطَّرِيقِ وَضَبَاطِ الْأَمْنِ).

(١١) بَيْنَ يَدَيِ الْجَلَادِ

وَلَمَّا جَاءَ الصَّبَاحُ عُرِضَ أَمْرُهُ عَلَى الْقَاضِي، فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ جَزَاءً لَهُ عَلَى قَتْلِهِ الْعَرْنَدِسَ. وَذَاعَ الْخَبْرُ فِي أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِيُشَاهِدُوا صَلْبَ الْمُؤَدِّنِ الْمُسْكِينِ. وَوَقَفَ الْقَاضِي وَرِجَالُ الشُّرْطَةِ أَمَامَ الْمَشْنَقَةِ، وَأَمَرَ الْقَاضِي بِإِحْضَارِ الْمُؤَدِّنِ مِنَ السِّجْنِ، فَأَحْضَرُوهُ — فِي الْحَالِ — وَوَضَعُوا الْحَبْلَ فِي عُنُقِهِ، فَاسْرَعَ التَّاجِرُ إِلَى الْجَلَادِ، وَصَاحَ فِيهِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «تَمَهَّلْ أَيُّهَا الرَّجُلُ؛ فَإِنَّ هَذَا الْمُؤَدِّنَ لَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا، بَلْ أَنَا وَحْدِي الْقَاتِلُ. فَلَا تَأْخُذُوا الْبَرِيءَ بِذَنْبِ الْمُسِيءِ!»

فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مَعَ الْعَرْنَدِسِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، وَكَيْفَ قَتَلَهُ بِعِصَاهُ، ثُمَّ حَمَلَ جُنَّتَهُ وَوَضَعَهَا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ.



فَاقْتَنَعَ الْقَاضِي بِصِحَّةِ مَا قَالَ التَّاجِرُ، وَأُصْدِرَ أَمْرُهُ بِصَلْبِهِ وَتَبْرِئَةِ الْمُؤَدَّنِ (أَي: حَكَمَ بِرَاءَتِهِ وَتَخْلِيصِهِ مِنَ الذَّنْبِ).

وَمَا كَادَ الْجَلَادُ يَضَعُ الْحَبْلَ فِي عُنُقِ التَّاجِرِ وَيَهُمُّ بِصَلْبِهِ، حَتَّى أَسْرَعَ إِلَيْهِ الطَّبِيبُ. وَقَدْ أَبَى عَلَيْهِ ضَمِيرُهُ أَنْ يُؤَخِّدَ التَّاجِرَ بِذَنْبِهِ، فَصَاحَ فِي الْجَلَادِ: «حَذَارِ (أَي: احذَر) أَنْ تَقْتُلَ التَّاجِرَ، فَهُوَ بَرِيءٌ، وَلَمْ يَقْتُلْ هَذَا الرَّجُلَ أَحَدٌ غَيْرِي».

ثُمَّ قَصَّ عَلَى الْقَاضِي قِصَّتَهُ، فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ. وَمَا كَادَ الْجَلَادُ يَضَعُ الْحَبْلَ فِي عُنُقِ الطَّبِيبِ، وَيَهُمُّ بِصَلْبِهِ، حَتَّى أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْحَيَّاطُ، وَصَاحَ قَائِلًا: «هَذَا الرَّجُلُ بَرِيءٌ، وَإِنَّمَا أَنَا وَحْدِي الْقَاتِلُ».

ثُمَّ قَصَّ عَلَى الْقَاضِي قِصَّتَهُ، فَرَأَى مِنَ الْحَزْمِ (أَي: مِنَ الْحِكْمَةِ وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ) أَنْ يُرْجَى (أَي: يُؤَخَّرَ) حُكْمُهُ قَلِيلًا.

(١٢) دَهْشَةُ السُّلْطَانِ

وَعَجِبَ الْقَاضِي مِنْ شَجَاعَةِ التَّاجِرِ وَالطَّبِيبِ وَالْحَيَّاطِ، وَدَهَشَ مِنْ غَرَابَةِ مَا رَأَى. وَرَفَعَ قِصَّتَهُمْ إِلَى السُّلْطَانِ، فَاشْتَدَّتْ دَهْشَتُهُ مِنْهَا، وَحَصَرَ بِنَفْسِهِ — وَمَعَهُ وَزِيرُهُ — وَطَلَّبَ إِلَى الْمُتَهَمِينَ أَنْ يَقُصُوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمْ الْعَجِيبَةَ، فَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ مَا حَدَّثَ لَهُمْ.



(١٣) ذَكَاءُ الْوَزِيرِ

فَالْتَفَتَ الْوَزِيرُ إِلَى السُّلْطَانِ، وَقَالَ لَهُ: «أَيُّذُنُ لِي مَوْلَايَ أَنْ أَرَى هَذَا الْأَحْدَبَ؟» فَلَمَّا أَحْضَرُوا الْعَرْنَدَسَ أَمَامَهُ، أَنْعَمَ (أَيُّ: دَقَّقَ) النَّظَرَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ لِلسُّلْطَانِ مُبْتَسِمًا: «مَنْ الْعَجِيبُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَا يَزَالُ حَيًّا إِلَى الْآنَ!» ثُمَّ لَكَّمَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بِجُمُعِ كَفِّهِ (أَيُّ: بِقَبْضَةِ يَدِهِ) لَكَمَةً قَوِيَّةً، فَفَقَزَتِ السَّمَكَةُ مِنْ حَلْقِهِ، وَأَفَاقَ مِنْ فَوْرِهِ.

خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

فَابْتَهَجَ السُّلْطَانُ بِهَذِهِ الْخَاتِمَةِ السَّارَّةَ، وَأَعْجَبَ بِشَجَاعَةِ الْمُتَّهَمِينَ وَوَفَائِهِمْ، فَأَمَرَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِمُكَافَأَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى صِدْقِهِ وَمُرُوءَتِهِ (أَيُّ: طَيِّبِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ صِفَاتِهِ)، وَأَتَّخَذَ الْعَرْنَدَسَ نَدِيمًا (أَيُّ: مُحَدِّثًا وَمُسَامِرًا) لَهُ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

محفوظات

فِي الْعَامِ السَّادِسِ

كُنْتُ - فِي الْعَامِ الَّذِي وُلِّي - صَغِيرًا،
وَأَجِيدُ الْعَدَّ، لَا أَخْطِئُ فِيهِ،
كُنْتُ لَا أَجْلِسُ - فِي بَيْتِي - إِلَّا
كُنْتُ فِي خَامِسِ أَعْوَامِي، فَلَمَّا
أَذْهَبُ - الْيَوْمَ - إِلَى مَدْرَسَتِي
فَوْقَ ظَهْرِي: جُعِبْتِي، شَاهِدَةٌ
غَيْرَ أَنِّي أَقْرَأُ - الْآنَ - الْكِتَابَا
وَكَذَا أَكْتُبُ - مَا يُمَلَى - صَوَابَا
ضاحِكِ السَّنِّ، عَلَى رُكْبَةِ أُمِّي
صِرْتُ فِي السَّادِسِ، زَادَ - الْآنَ - عِلْمِي
حَافِظًا دَرَسِي فِي كُلِّ نَهَارٍ
بِاجْتِهَادِي، وَهُوَ حَسْبِي مِنْ فَخَارٍ